طبق الاصل

مؤيد نعمة

ما الذي يريده المتمردون؟

رؤى مختلفة والأساليب الدموية نفسها

بقلم هيوا عثمان

كانت المقطورة ذات العجلات الستين تحمل مولدة كهربائية عملاقة على الطريق السريع إلى منطقة المسيب التي تبعد ٣٠ ميلاً جنوبي بغداد، تحرسها ٦ سيارات من الشرطة والجيش كان الموكب يجتاز طريق بغداد- اللطيفية، وهو سيئ السمعة تنتشر عليه عمليات الخطف والقتل ولكي تمر الشاحنة بحمولتها بأمان علقت على المولدة كما لو انها تعويذة أو حجاب لدفع الشر لافتة مكتوبة بحروف حمر كبيرة تقول (إلى محطة طاقة كهرباء المسيب / اللّه اللّه / عاش المجاهدون).

كانت تلك الاشارة التماساً يطلب من المتمردين عدم مهاجمة الموكب وحرمان الناس في المسيب من الكهرباء.

وبفضل اللافتة، أو لحسن الحظ، أو لغياب المتمردين من الطريق في ذلك اليوم، فإن المولدة والوحدات الامنية وصلت بسلام إلى وجهتها المقصودة.

وعلى غرار الناس في ذلك الموكب، يتساءل العراقيون: لماذا يواصل (المتمردون) هجماتهم على كل شيء وما الذي يأملون الحصول عليه؟

منذ تشكيل الحكومة العراقية الجديدة قتل الكثير من العراقيين بالسيارات المفخخة بالهجمات الدموية، وفي شارع عديم الشفقة والرحمة منذ سقوط صدام حسين وبينما تبدو هذه الهجمات على الارض لا تميز شيئاً، فان هنالك ستراتيجية خلفها، وفي الحقيقة هنالك أكثر من ستراتيجية نظراً لأن المتمردين يشكلون عدة مجاميع من الناس، وقد يتشاركون في الاساليب والتكتيكات الا أنهم يمتلكون دوافع مختلفة واهدافا بعيدة المدى. وهكذا فإن التعويذة المخطوطة على جانب المولدة الكهربائية قد يكون لها تأثير في جماعة واحدة من المتمردين، كأن يكونوا ممن طردوا من وظائفهم على جماعة واحدة من المتمردين، كأن يكونوا ممن طردوا من وظائفهم في الجيش ومن بقية المؤسسات الحكومية لكونهم أعضاء في حزب البعث، من غير المؤمنين بنظريات صدام الاشتراكية العربية القديمة. الا ان فئتين اخريين مهمتين من التمرد وهم البعثيون المقاومون بعناد والمليشيات، الإسلامية المؤيدة للقاعدة لن يترددوا في مهاجمة ما يرونه هدفاً مثالياً: وهو مولدة طاقة عملاقة مع ١٢ رجلاً من الشرطة و ٦ أفراد من الجيش! فهؤلاء يستهدفون تعطيل الخدمات العامة وجعل اجهزة الأمن العراقية الجديدة عاجزة بعد مرور سنتين من الحرب وثلاثة اشهر من الانتخابات الوطنية التي ظهرت بأنها استفتاء صب في مصلحة الاسلوب السياسي السلمي، مازال المتمردون يشكلون حجر عثرة لا يتزحزح على الطريق الموصل إلى عراق جديد. فالبلاد تستطيع ابدأ التحرك قدماً حتى يتم التعامل مع هذا التمرد على نحو حاسم.

ويبدو أن العمود الفقري للتمرد هو الحلف بين البعثيين المقاومين بعناد وشبكة الإرهابيين، ومعظمهم تحت قيادة (أبو مصعب الزرقاوي). فكلا الجماعتين يقاتل من نفس المعركة ولكن لأسباب مختلفة، وباهداف مختلفة ايضاً.

العسكريون الذين يشكلون الجانب البعثي من الحلف لديهم خلفية عسكرية، وهم جنود في الرتب العسكرية الوطيئة أو عملوا في مجالات الامن والمخابرات ولقد فقدوا اعمالهم بعد الحرب عندما قامت قوات التحالف بحل الجيش واجهزة المخابرات والامن. كما انه تم أيضاً ملء أدمغتهم بأفكار معاداة امريكا خلال سنوات حكم صدام، وبكونهم تم طردهم من وظائفهم فقد عزز ذلك احساسهم بوجود مؤامرة ضدهم.

وقد يود العديد منهم العودة وبسعادة لوظائفهم من أجل الحصول على أسلوب حياة أفضل وتجنب المخاطرة بحياتهم عن طريق قذف قنابر الهاون أو اطلاق الصواريخ على الاهداف العسكرية أو المدنية مقابل ٢٠٠ دولار وهو السعر المتعارف عليه للقيام بمثل هذه الاعمال. ولقد اخبرني ضابط سابق في الجيش العراقي يعمل الآن مترجماً ويختبئ من المتمردين بأنه عندما كان صدام في السلطة قام الجيش بتدريب اعضاء الامن والمخابرات وحزب البعث على اساليب الحرب المدنية التقليدية، ومع النسبة العالية للبطالة، فليس هناك نقص في عدد الرجال القادرين على استخدام الصواريخ المحمولة على الكتف أو الاسلحة الاوتوماتيكية لشن هجمات بسيطة.

يقود ويوجه هؤلاء المقاتلين ضباط اعلى مستوى في الجيش والامن والمخابرات من الذين تمتعوا بكل الامتيازات والسلطة، ولقد تمكنوا من استعادة بعض شبكاتهم التجسسية القديمة وتسجيل الموظفين السابقين لجمع المعلومات ودفعهم للقيام بعمليات الاغتيالات والهجمات على الاهداف العسكرية والمدنية.

ويبدو ان قابلياتهم على زرع الرعب واضحة وجلية ولقد أخبرني مواطن من سكان بغداد قام بزيارة غازي الياور في المنطقة الخضراء ان الجنود اخبروه ان يخفي وجهه حتى لا يتعرف عليه احد. ويبدو ان بعض المتمردين قد تسللوا إلى المؤسسات الحكومية وقاموا بتسهيل محاولات الاغتيالات في بغداد و بقية المدن.

ولقد ظل العديد من الوزراء في الحكومة والمسؤولين العامين في منازلهم لعدة اسابيع وحتى لشهور، حتى ان بعضهم لم يقوموا بزيارة وزاراتهم.

إن هدف الإرهابيين بسيط: وهو عودة حكم البعثيين عبر انقلاب عسكري، جاء في بريد الكتروني لأحد القادة الكبار السابقين في الجيش من مخبئه: حالما يخرج الاحتلال، سيكون لدينا القوة الكافية والارادة لاستعادة قيادة العراق.

لقد كنا قادرين على فعل ذلك عام ١٩٦٣ وفي عام ١٩٦٨ وسنفعل ذلك مرة أخرى.

عند توجيه سؤال بشأن كيفية شعور البعثيين تجاه المليشيات الإسلامية للقاعدة قال الضابط القديم في حزب البعث صالح المختار لصحيفة عراقية محلية في بداية هذه السنة بإن البعثيين سوف ((يساندون أي شخص يحمل سلاحاً ضد الاميركان)).

ولدى المليشيات الإسلامية جنودهم الخاصون بهم في هذا الحلف غير المقدس: وهم المؤيدون والمساندون الذين تدفقوا عبر الحدود المفتوحة من الدول المجاورة. وانا أعتقد بأن هؤلاء الناس يقدمون الفائدة للبعثيين لأنهم يقدمون التجهيزات والأموال إلى المستعدين للقيام بالتفجيرات الانتحارية.

حسب قول ضابط عسكري سابق يعمل الآن سائقاً فإن "٣٥ عاماً من القمع الوحشي لصدام لم ينتج عنه تفجير انتحاري واحد!"

ولقد كانت سوريا قاعدة مهمة ومحطة مرور لهؤلاء المقاتلين الاجانب وقد اظهرت المقابلات مع (مجاهدين) معتقلين ونسخ تحقيقات حصل عليها من المخابرات والامن العراقي أن رحلة (المجاهد) النموذجية من مدينة في سوريا أو الأردن أو السودان أو اليمن أو أي بلد عربي اخر حتى لحظة تفجير نفسه تسير على هذا النحو: بعد أتخاذ القرار بقتال الاميركان في العراق يقوم بالاتصال بالمساجد في دمشق المعروفة بتسجيل المجاهدين للحرب المقدسة في العراق، وغالباً ما يتم تمويل هذه الحملات للتسجيل والانتساب من قبل بعض المسؤولين السوريين.

وبعد ان يتم أتخاذ القرار يعد هذا الشخص مناسباً للقيام (بعملية الاستشهاد) ويدرب على اخفاء هويته وكيف يحمل المتفجرات والذخائر. ويكمل الملالي المتشددين المتعصبين هذا العمل بجرعة ثقيلة من التعاليم الدينية المتشددة. وبعد ذلك يتم تسفير المتطوع عبر الصحراء إلى بعض المناطق التي لها استعداد في تضييف هذا الانتحاري. في هذه المرحلة يسكن في منزل آمن في بغداد حيث يعين له هدف للتفجير أو يتم ارساله إلى مناطق محددة لمقاتلة الامريكان أو الجيش العراقي الجديد وقوات الشرطة.

في السنة الماضية نشرت الحكومة العراقية قائمة بالمقاتلين الاجانب المعتقلين في العراق. ولقد اتصل والد أحد المقاتلين بأحد الوزراء وقال له أنه عندما ترك ولده الوطن قال لوالديه بأنه ذاهب لأجازة في سوريا. وبعد شهر لاحق اتصل بوالديه وقال بأنه في الفلوجة للجهاد ضد الاميركان.

وقبل الحملة العسكرية الاميركية على الفلوجة، اعتادت المليشيات الاجنبية على الذهاب هنالك للانضمام للتمرد المحلي في القيام بمهمات تقليدية على قوات الشرطة والحرس الوطني العراقي والجيش الامريكي. وقد نقل أحد الصحفيين الذين يعملون من أجل معهد صحافة الحرب والسلام (WPR) أن المقاتلين السوريين كانوا يعملون بشكل علني في مناطق مختلفة مما يعرف بالمثلث السني.

وقال أحد المقاتلين السوريين للمراسل الذي كان يتظاهر بأنه احد السكان المحليين بانه في العراق يقاتل الولايات المتحدة لانه (إذا لم نقاتلهم هنا فسيكون علينا قتالهم في سوريا).

كما تتدفق الاموال ايضاً من سوريا. ولقد تكلمت مع صحفي عراقي قام مؤخراً بزيارة سوريا حيث قال أنه شعر في سوريا كما لو انه عاد إلى عراق صدام، فلقد كان المكان (مكتظاً بأبناء البعثيين ومسؤولي النظام السابق).

ومع ان حلفاء التمرد اليائسين يقاتلون في حروب مختلفة ولأسباب مختلفة، فأنهم في الوقت الراهن يقاتلون في نفس المعركة، وهي تدمير الحكومة العراقية الحالية وأخراج الاميركان. واحدى هذه المجموعات تريد عودة حكم صدام وأخرى تريد عراقاً على غرار نظام طالبان، الا انهم جميعاً ينتظرون مغادرة الولايات المتحدة. وسيكون من السذاجة التفكير بأن هذه الجماعات يمكن أن تحيد أو تعدل عن اعمالها من خلال دعوتهم للانضمام للعملية السياسية. وأن وضع بعض الوجوه السنية في الحكومة على أمل أنهم سينهون التمرد هو مثل توقع أجراء جراحة تقويمية لشفاء سرطان المعدة.

إن الحرب ضد هذا التمرد قد تكون غير جذابة أو لا تروق احد، الا أنه لا يمكن تجنبها ويجب أن يكون هدفها الاول هو تحطيم التحالف البعثي مع القاعدة. وللقيام بذلك يجب أن تخاض الحرب على جبهتين: اولاً على المجتمع الدولي أصدار أنذار نهائي لجيران العراق لقطع خطوط تجهيز المتمردين، ومع أن لدى العراق حكومة منتخبة ورئيساً فأن البلد لا يزال جاث على ركبتيه ولا يملك النفوذ الذي تملكه الدول الأخرى على هذه الدول.

ترجمة: لونا أحمد
عن: الواشنطن بوست

مصـر:

هنالك شيء ما يختمر و لكن لا احد يعرف ما هو بالضبط!

" المشكلة هي ليس في انك تسلك طريقا خاطئا، و لكنك تمتلك ساقا قصيرة و اخرى طويلة". عندما قال ذلك مراقب دقيق عن مصر قبل عشر سنوات، كان يشير الى خطواتها المتعثرة في الاصلاح الاقتصادي. يمكن لهذه الكلمات ان تصف جيدا الحركات الحالية باتجاه الاصلاح السياسي. ان رغبة مصر في التغيير هي امر واضح جدا، سواء كان من جانب الوعود الحكومية او من قبل شوارع القاهرة الهائجة و الحادة المزاج. و لكن في الوقت الذي تحاول فيه الدولة المحافظة على الخطو وئيدا، هنالك اعداد متزايدة من المصريين ممن يرغبون بتغييرات كبيرة الان، وكلما كانت اسرع كانت افضل. ان المثال على ذلك هو الاستفتاء الذي جرى الاسبوع الماضي حول التعديل الدستوري الذي سيسمح، اول مرة ، لاكثر من مرشح للتنافس على منصب الرئيس. لقد رحب المصريون بشدة باعلان الرئيس حسني مبارك بشأن هذه الخطوة، التي اعلن عنها في شباط. و لكن بعدها قام الحزب الوطني الديمقراطي، الذي يسيطر على برلمان دمية، بلي القوانين بحيث منح نفسه حق الفيتو الفعلي على المنافس المحتمل للرئيس المفروض منذ ٢٤ عاما. تزعم الحكومة بان الاستفتاء قد برهن على ما اطلق عليه الرئيس مبارك " الايمان اللامحدود بالشعب المصري". رسميا، ٥٣٪ من المسجلين ادلوا باصواتهم، ٨٣٪ منهم قالوا نعم. ولكن بينما تجادل القلة بشأن واقعية التصويت، قلما يوجد هنالك شخص يصدق بنسبة المشاركة برغم حقيقة قيام وعاظ السلاطين باصدار فتاوى تامر المؤمنين بالتصويت او كما ذكرت التقارير، في احد احياء القاهرة، قام احد مؤيدي الحزب الوطني الديمقراطي الاغنياء بتقديم قرص (فياكرا) لكل ناخب. من جهة، لم يدل المصريون باصواتهم باعداد كبيرة ابدا منذ ثورة ١٩٥٢ التي انهت فترة حيوية من الديمقراطية التعددية. دفعت الانتخابات البرلمانية قبل خمسة اعوام، التي جرت تحت اشراف قضاة عدول نسبيا، ليس كالمعتاد، الى خروج ربع الناخبين فقط. اضافة الى ذلك، فان الاحزاب الشرعية الرئيسة الثلاثة المعارضة، و الاخوان المسلمين ذات الوزن و لكنه غير شرعي، وحركة الاحتجاج الناشئة (كفاية)، التي ترغب باستقالة مبارك، قد قاطعت جميعها الاستفتاء. و سواء كان بسبب هذه الحقيقة او بسبب اللامبالاة، بدت معظم مراكز الاقتراع فارغة من الجميع باستثناء مستخدمي الحكومة، المتقاعدين و نفر من البسطاء، بعضهم ابلغوا الصحفيين بفرح باعتقادهم بأنهم كانوا يصوتون، كما هو معتاد، على اعادة السيد مبارك لفترة رئاسية اخرى. في نفس الوقت يقول مواطنون يمتلكون اقارب في الشرطة بان الضباط تلقوا اوامر للادلاء باصواتهم عدة مرات كلما كان ذلك ممكنا. و لاختبار النظام، فان احد المراسلين المغامرين يزعم أنه قام بالادلاء بصوته في ثمانية مقاطعات مختلفة. و مع ذلك فالاسوأ من ذلك، هو قيام السفاحين الذين يرتدون الملابس العادية وبخبث بمهاجمة مجموعتين صغيرتين ممن يعلنون احتجاجهم على يوم التصويت في القاهرة. لقد اصبح امرا معتادا مع ان ترى مثل هذه المسيرات الاحتجاجية و هي في حالة اشتباك مع اعداد متفوقة من شرطة مكافحة الشغب. و هذه المرة، تنحي (طوابير) اصحاب الخوذ جانبا لكي يسمحوا لوحوش الحزب الوطني الديمقراطي بحرية التصرف في الاختطاف، الضرب، الدفع و جر الشعر. يقول شهود عيان بأنهم ركزوا بشكل خاص على النساء المحتجات.

مزقت ملابس العديد منهن و سرقت الاشياء الشخصية. في الفترة الماضية، كان المصريون يميلون الى عدم الاهتمام بالخدع الانتخابية و بطش الشرطة باعتبارها جزءاً من قدرهم. فخمسون سنة من حكم الحزب الواحد، قسمها الاعظم تحت الاحكام العرفية، قد تركت البلاد بحالة تشرذم و شك حتى في امكانية حدوث أي تغيير . و باستثناء ماكنة الحزب الوطني الديمقراطي الكبيرة، فان الاحزاب السياسية الاخرى ضعيفة. كما ان المخاوف بين الناس مستمرة، ليس فقط من التقاطع مع الحكومة فحسب، بل ايضا من اعمال الشغب المحتملة، او من ان يخرج الامر عن نطاق السيطرة مما قد يستغل من قبل الاخوان المسلمين، ان لم يكن من قبل قوى اسلامية اكثر تطرفا.

ان المزاج المصري في حالة تغير. لقد تمت الان مواجهة سطوة الحكومة الثقيلة، بشكل لم يسبق له مثيل، عن طريق التعرية و النقد. فقد اصبحت اتحادات الطلبة و التجار ضجرة بعد ان كانت منذ امد بعيد مقيدة. كما قامت عدة منظمات لحقوق الانسان بنشر تفاصيل هذه الانتهاكات كالتعذيب و الاعتقالات الاستبدادية. و المحطات الفضائية، التي هي خارج سيطرة الدولة، بينت مدى حجم المعارضة. العشرات من الصحف هاجمت تلعثم الحكومة، مثل التصريح الاخير من قبل رئيس الوزراء، احمد نظيف، الذي اشار فيه الى ان المصريين ليسوا ناضجين ما فيه الكفاية للديمقراطية الحقيقية. ومقارنا الاستفتاء المصري بالتصويت الفرنسي على الدستور الاوربي، رسم احد مصوري الكاريكاتير مسؤول مصري يقول الى جاك شيراك بان لا يقلق: " سوف نرسل بعض من اولادنا للتعامل مع جميع اولائك الذين صوتوا بلا". و بكلمات احد المعلقين، الذي يقوم بادارة موقع مشهور على الانترنيت، ان ما يمر به المصريون هو تحول من حالة الرعية الى المواطنة. لقد تراجعت الحكومة بسبب الاحتجاجات، في الداخل و الخارج، التي اثارتها عملية الاعتقال في كانون الثاني لايمن نور(الان خارج السجن لكنه في انتظار المحاكمة بتهمة التزوير) ، مباشرة بعد تأسيسه حزباً ليبرالياً يسمى الغد، مصرحا بنيته لترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية. ان العلامة الاكبر على التغيير هي تلك الموجة الجديدة ضد الاخوان المسلمين، التي كما يقولون طالت اكثر من ٢٠٠٠ عضو، قد اثارت تعاطفا صريحا اكثر مما حدث في عمليات القمع السابقة. وحتى ان بعض العلمانيين المصريين يقولون الان بأنهم يتقبلون دخول الاخوان المسلمين الى الحكومة، لانهم في الاقل قد يكونون نزيهين. كما ان الاخوان المسلمين انفسهم قد غيروا من شعاراتهم، ان لم يكن من جوهر معتقداتهم ذاتها. حيث كان الشعار الرئيس في يوم ما "الاسلام هو الحل"، الا انهم ينادون الان بالاصلاح و الديمقراطية. و في نفس الوقت، فان وسائل سيطرة الحكومة و ادارتها تتعرض للتآكل. فالمصريون غالبا ما يطلقون النكات حول قراءتهم الصحيفة الرئيسة المملوكة من قبل الدولة، الاهرام، لمجرد الاطلاع على اعلانات النعي. ان الحل التدريجي للمؤسسات الاشتراكية وصناعات القطاع العام قد زادت من صعوبة انتاج "الجماهير" المؤجرة. ان مثل هذه التغيرات قد اثرت في الحزب الوطني الديمقراطي ذاته، الذي تتجاذبه التوترات. فالجيل الجديد، البعض منهم مقرب الى السيد جمال مبارك، يخشى من ان الحزب قد ابتعد بشكل خطر عن الشعب. و هم يجدون تجاوزات الشرطة امراً محرجاً، وقد تقتل في الحقيقة، على سبيل المثال، القواعد الانتخابية التي تسمح بالمنافسة الحقيقية المفتوحة. و لكن لغاية هذا الوقت يبدو ان الحرس القديم مازال هو المسيطر.

و بوجود كل من الانتخابات الرئاسية و البرلمانية تلوح في الافق باقتراب الخريف ، فان القلق حول المستقبل يتعاظم. "اني لا احب الاخوان المسلمين، و اعلم ان المعارضة قد تفسد الاقتصاد" كما قال المستشار المالي في القاهرة." ولكن الحكومة تقوم بارتكاب اخطاء غبية- و هذا ما يقلقني".

ترجمة :فاروق السعد
عن: الايكونومست